

للجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٩٥٣، حذف بند قضية فلسطين من المداولات واستبدل ببند «تقرير مدير وكالة الاغاثة (الاونروا)»

والمعروف ان الدول العربية لم تعترض على هذا الوضع بل استمرت بعد ذلك في السكوت عليه. ثم جاءت الوحدة التي قامت بين سوريا ومصر في العام ١٩٥٨ فخلقت الامل لدى الفلسطينيين باقتراب موعد التحرير والعودة، وكثر الحديث، في حينه، عن «فكي الكماشة» الذي يشكله جيشا القطرين حول اسرائيل وعن دنو ساعة انطباق تلك الكماشة على اسرائيل وانهاؤها. لكن الوقائع خيبت الآمال. فدولة الوحدة لم تكمل عامها الرابع، وحدث الانفصال بين سوريا ومصر اثر انقلاب عسكري قام به ضباط من الجيش السوري في ٢٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٦١. واعتبر الانفصال، بالنسبة للفلسطينيين، نكبة لا تقل عن نكبتهم في ١٩٤٨، فانخرط كثيرون منهم في الحركات التي قامت تحت اسم «الناصرية» في تلك الفترة، وشكلوا الجسم الاساسي للتظاهرات التي شهدتها سوريا في فترة حكم الانفصال، والتي كانت تطالب بعودة دولة الوحدة.

ولم يطل زمن الحكام الذين صنعوا الانفصال، كما لم تعرف سوريا الاستقرار. فقد تمكن تحالف من حزب البعث العربي الاشتراكي والحركات الناصرية من قلب نظام الحكم في سوريا في ٨ آذار (مارس) ١٩٦٣، وكان قد سبقه انقلاب مماثل في العراق في ٨ شباط (فبراير) من العام نفسه. وبدأت، اثر انجاز الانقلابيين البعثيين، مباحثات الوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا والعراق، وتوجت بميثاق نيسان (ابريل) ١٩٦٣. إلا ان هذا الميثاق لم تكتب له رؤية النور؛ فقد اختلف دعاة الوحدة (البعث والناصريون) حول الوحدة، شكلاً ومضموناً. والواقع ان الخلاف كان حول الهيمنة على السلطة. كما لم يستطع بعثا العراق وسوريا إقامة وحدة بينهما، فاكتفيا بوحدة عسكرية، بالرغم من ان قيادة الحزبين واحدة. وحتى هذه الوحدة العسكرية لم ينجم عنها، عملياً، سوى ارسال لواء من القوات السورية الى العراق للمشاركة في الحرب ضد الحركة الكردية التي كانت نشطة في شمال العراق. ويبدو ان الكيانات القطرية العربية كانت قد استكملت كل ما يكفل عدم اتحادها مع بعضها. وتحولت الى أوطان، حيث ستشهد في وقت لاحق (السبعينات) أشكالاً دنيا من الاعلانات السياسية الوجودية التي اقتصرت، بدورها، على توقيع وثائقها بين الرؤساء والملوك العرب.

ماذا عن الفلسطينيين وقد تعرض شعار (الوحدة طريق التحرير) لامتحان عسير؟... يقول أحد معاشي تلك الفترة من النشيطين في الحقل الوطني الفلسطيني: «لا شك ان الشعب الفلسطيني كان أكثر الشعوب حزناً على فشل تجربة الوحدة الرائدة لسبيين:

«أولاً: لان الوحدة لم تكن بالنسبة للفلسطينيين مجرد حلم تاريخي... فلقد كانت 'الوحدة' بالنسبة للفلسطينيين، ووحدهم، وعداً بتحرير وطنهم السليب...

«ثانياً: لان الشعب الفلسطيني الذي لم تتوفر له أية فرصة لحكم ذاتي، أو استقلال شكلي، كما توفر لغيره من الشعوب العربية... لم يفرز أية شريحة اجتماعية أفادت من واقع التجزئة... وبالتالي فقد استمر الفلسطينيون على صفائهم الوجودي العربي»^(١٢).

مرة أخرى، ماذا عن الفلسطينيين؟ فالواقع العربي قد أفرز «المصري، أو من يتحدث باسمه ويضع الشروط، آمن لانه في نهاية المطاف لديه مصر، والعراقي، أو من يتحدث باسمه، يقف في نفس الموقع، وكذلك السوري، والكل قومي وعروبي. ولكن ماذا عن الفلسطيني، أو من يتحدث باسمه؟. انه من دون وحدة لا وطن له الا الشتات والمنافي القسرية. وهو، أيضاً، قومي وعروبي.